

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَائِمُ الْعَشْرِ خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ رَمَضَانَ مَيْدَانًا لِإِكْرَامِهِ، وَأَمْرَنَا بِحُسْنِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَوْدَعَ النَّىٰثَ الْأَخْيَرَ مِنْ رَمَضَانَ خَيْرًا عَظِيمًا، وَجَعَلَ فِيهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَنَشَهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَأَقامَ شَعَائِرَ الدِّينِ الْعَظَامَ، وَأَحْيَا شَهْرَهُ بِالاعْتِكَافِ وَالْقِيَامِ، ﷺ وَعَلَى الْهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَى أَثْرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِلِهِ
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّكُمْ خَيْرُ الْزَادِ الْغَنَوْيٰ وَأَتَقُونَ يَتَأْوِلِي الْأَلَبِ﴾^(١).
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

هَنِئَّا لَكُمْ صَوْمُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ وَقِيَامُكُمْ، هَنِئَّا لَكُمْ هَذِهِ النُّفُوسُ الَّتِي تَعْلَقَتْ بِرِضاِ
الرَّحْمَنِ، وَهَنِئَّا لَكُمْ هَذِهِ الْقُلُوبُ الَّتِي تَاقَتْ إِلَى الْجَنَانِ، هَنِئَّا لَكُمْ صَبَرُكُمْ وَاجْتَهَادُكُمْ، فَهَا
أَنْتُمْ قَدْ اغْتَمَّتُمْ نِصْفَ شَهْرِكُمْ، صُمِّنْتُمْ أَيَّامَهُ وَقَمِّنْتُمْ لِيَالِيهِ، حَرَصْنَتُمْ فِيهِ عَلَى
الصَّالِحَاتِ اكْتِسَابًا، وَعَنِ السَّيِّئَاتِ بُعْدًا وَاجْتِنَابًا، فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا بِذَلِكَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوَّنُ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجْرِيَةً لَنْ تَبُورَ، لِيُوْفِيَهُمْ أُجُورُهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ﴾^(٢)، وَعَسَى أَنْ يَشْمَلَكُمْ قَوْلُ الْمُصْطَفَى ﷺ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا
وَاحْتِسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)). هَذَا وَسَتَحْلُ بِسَاحَتِنَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بَعْدَ أَيَّامِ الْعَشْرِ

(١) سورة البقرة/ ١٩٧

(٢) سورة فاطر/ ٢٩ - ٣٠

الْأُوَّلَى الْمُبَارَكَاتُ، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ هَذِي نَبِيُّكُمْ ﷺ إِذَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْعَشْرُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَةِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا، فَهُوَ كَمَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ زَوْجُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَ (يَشُدُّ مِئَزَرَهُ) كِنَاءَةً عَنِ الْجَدِّ وَالاجْتِهادِ فِي الْعِبَادَةِ، (وَيُوقَظُ أَهْلَهُ لِيَفْوَزُوا بِالْخَيْرِ)، (وَيُحَيِّي لَيْلَهُ) عِبَادَةً وَذِكْرًا وَتِلَوَةً إِلَى الْفَجْرِ. هَذَا اجْتِهادُ خَيْرِ الْخَلْقِ - أَيُّهَا الْأَحَيَّةُ -، وَقَدْ غُفرَ لَهُ مِنْ ذَنْبِهِ مَا تَقدَّمَ وَمَا تَأْخَرَ، فَلَنْجَتِهِدْ فَإِنَّ بَابَ الْأَجْوَرِ وَالْغُفْرَانِ مَفْتُوحٌ، وَنَسَامَ الْعَشْرِ بِالْخَيْرِ تَفُوحُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَانَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يُضَاعِفُ اجْتِهادَهُ فِي الْأَيَّامِ الْعَشْرِ الْأُخِيرَةِ الْمُبَارَكَةِ طَمَعًا فِي أَنْ يَفْوَزَ بِلَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ، لَيْلَةٍ سَمَّاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِـ «لَيْلَةُ الْقَدْرِ» أَيْ لَيْلَةُ الشَّانِ وَالْخَيْرِ وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، وَهِيَ الْلَّيْلَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ مَنْزِلًا، وَلِلْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ مَفْرِقاً، **«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمَ ، وَالْكِتَبِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ»**^(١). فَهِيَ أَفْضَلُ لَيْلَةٍ تَمُرُّ عَلَى الإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ، خَيْرٌ مِنْ جَمِيعِ لَيَالِي الْعَامِ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ بِقَوْلِهِ: **«لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَّمَهُنَّا حَتَّى مَطْلَعَ الْفَجْرِ»**^(٢)، نَعَمْ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فِي الْفَضْلِ وَالْبَرَكَةِ وَمُضَاعِفَةِ ثَوَابِ الْعَمَلِ، فَهُلْ يَرْغَبُ عَنْ هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ مَنْ يَطْمَعُ فِي فَضْلِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ؟ يَقُولُ الْمُصْنَطَفِي **«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**. وَقَدْ أَخْفَى اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ الْمُبَارَكَةَ عَنِ عِبَادِهِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَجْتَهُوا فِي الْأَيَّامِ الْعَشْرِ طَمَعًا فِي تَحْصِيلِهَا، وَيَجِدُوا أَمْلًا فِي نِيَّلِهَا، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) سورة الدخان/ ١ - ٦

(٢) سورة القدر/ ٣ - ٥

((فالتمسوها في العشر الأوّل والتمسوها في كل وتر)). فحرى بكل عاقل إذن أن يجد ويجهّه، وأن يري الله من نفسه خيراً. فالإنسان الذي تمر عليه هذه الليلة المباركة وهو متجرد من هموم الدنيا، مقبل على الله سبحانه لا ريب أن هذا الإنسان يكون رابحاً خيراً هذه الليلة، أمّا من قضاها في اللهو واللعب والقيل والقال؛ فهو عن فضلها مبعد، ومن خيرها محروم. يقول نبينا ﷺ ((من حرمها فقد حرم الخير كلّه، ولا يحرم خيرها إلا محروم)).

فاتقوا الله - إخوة الإيمان -، «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضَهَا السَّمَوَاتُ وَأَلْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ» (١).

أقول قولٍ هذا وأستغفرُ الله العظيم لِي ولَكُمْ، فاستغفروه يغفر لكم إنْهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجيب لكم إنْهُ هو البر الكبير.

*** * *** *

الحمد لله، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، ﷺ وعلى الله وصحبه ومن والاه.

أمّا بعد، فاعلموا - عباد الله - أنّ ممّا يعين المرء على تحقّيق خيرية ليلة القدر الاعتكاف في مساجد الله، فالاعتكاف عبادة تجعل المسلم قوي الصلة بخالقه، بعيداً عن مشاغل الدنيا وهمومها، فيكون استغلاله لليلة القدر المباركة أعظم وهي تمر عليه في معتكافه؛ ولأجل ذلك كان النبي ﷺ حريصاً على الاعتكاف في هذه الليالي العشر المباركة، فما أجمل الاعتكاف من سنة نبوية، ورفعه روحية، وتركيزه نفسية، فلتتعلموا - أيها المجبتون - أن خيراً هذه العشر الأخيرة خير واسع، وفضلها فضل عظيم، لتكتروا فيها من القيام والتهجد، ولتحرصوا على الصدقة والذكر والدعاء والاعتكاف بقدر

(١) سورة آل عمران / ١٣٣ .

استِطاعَتُكُمْ، وَاحذَرُوا أَنْ تَرْضُوا بِالْكَسْلِ وَالْفُتُورِ اعْتِمَادًا عَلَى اجْتِهَادِكُمْ فِيمَا فَاتَ، أَوْ أَنْ يَحْمِلُكُمْ عِلْمُكُمْ بِالإِحْسَانِ فِي مَا مَضَى عَلَى التَّقْصِيرِ فِيمَا هُوَ آتٍ، فَإِنَّمَا الْأُمُورُ بِخَوَاتِيمِهَا. فَلَا تُبْطِئْ -أَخِي- بِكَ الْخُطَا، وَلَا تَرَاجِعْ بِكَ الْهَمَةُ، فَتَرْضَى بِالْكَسْلِ بَعْدَ الْجِدِّ، وَتَصِيرُ فِي الْمُؤْخَرَةِ بَعْدَ الصَّدَارَةِ، فَتُصْبِحَ لِلصَّلَاةِ مُسْتَدْرِكًا، وَفِي الْقِيَامِ مُقْسِرًا، وَفِي الْأَذْكَارِ وَتِلَوَةِ كِتَابِ رَبِّكَ مُتَتَاقِلًا، فَالْعَاقِلُ يُشْفَقُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ ﴿كَلَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَثَاهَا﴾^(١).

فَاتَّقُ اللَّهَ -أَخِي الْمُسْلِمَ- وَاسْتَغْلِ مَا بَقَى مِنْ شَهْرِكَ خَيْرَ اسْتِغْلَالٍ، وَشَمَرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، عَلَّاكَ تَفْوزُ بِنِظَرِهِ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَتَقْبَلَ فِي التَّائِبِينَ، وَتُكْتَبَ فِي الصَّالِحِينَ، «وَمَا نَقِيمُوا لِأَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوْهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^(٢).
هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيهَا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصْلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا»^(٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسِلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ

(١) سورة النحل / ٩٢

(٢) المزمل / ٢٠

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦

فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرُ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكْلِنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأنَ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوطَانَنَا وَأَعِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْقِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْعِنَا وَكُلَّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْمُنْعَنِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

